

في نور محمد فاطمة الزهراء

«فلقد قيل على ألسنة الثقات جميعاً، ويزاد عليه في حديث السيدة عائشة أن امرأة، في فضلها واعتزازها بنفسها، كانت ترى للزهراء - في علمها ورضانتها - فضلاً على سائر النساء» [1599]. ولم تكن الصلة بين فاطمة وأبيها مجرد صلة بين ابنة وأب على نحو ما عهدنا أن تكون عليه الصلات - بحكم الوراثة، وبحكم الولاء، وبحكم الانتماء - بين الأبناء وبين الآباء. إنَّها علاقة نوعية متميِّزة، بل متفرِّدة المثال، لا مسبوقة ولا ملحوقة... روحانية العاطفة، ريبانية الصفاء. كمثّل نجم درّسي، متوهّج السنّ، متألّئ الشعاع كان حبّها إيّاه... وكمثّل هالة من ضياء نديّ كانت أشواقها تطوف حوله - أقماراً وكويكبات ريبانة الإشراق - مع كلّ ليل وكلّ نهار. وكانت مظاهر شوقها وحبّها تتمثّل في اعتزاز يفوق الاعتزاز، فلم يعرف فخر بالانتساب للرسول كفخر الزهراء، ولم يعرف أب يفخر بخلف كفخر بالزهراء. كان إذا دخل عليها قامت إليه، وردّبت به، وأخذت بيده فقبّلتها [1600] بشغف لهيف، وكأنّما تودعها كلّ نسمة حياة. وكانت إذا دخلت عليه أخذ بيدها فقبّلتها، وردّبت بها، وفرش لها رداءه وأجلسها، ثم لا يكون له عنها شاغل، وكأنّما هذا اللحظة من اللقاء هي وحدها الحياة. * * * وبلغ اعتزازه بها مداه في صغارها وهو يراها فيهم فيرى أعزّ ما في الوجود،